ان شفيت كريمتها . ولم يمهلها الداء اكثر من ستة ايام من اصابتها به فكانت وفاتها في شهر نيسان عام ١٦٩٦ وهي بالغة من العمر زهاء سبعين سنة

فما افضل هذه السيدة وما احسن التشبه بها

حب المرأة

(خطاب للكاتبة المجيدة الآنسة ماري عجمي نلته)

(في حفلة جمعية بنات الشفقة الارثوذكسية في زحلة)

تحية وسلام ايها الكرام

ان ابنة الامس وفتاة الاعصر السالفة تقف امامكم لتنشد لكم لحناً جميلاً على عود مكسور . ما كدت اسمع هتاف الالوف الذي ردّد صدى بوق الدستور في ارجاء بلادي حتى جمعت بقيتي ومزقت اكفاني وحطمت سلاسل الفناء ورفعت حجر القبر وخرجت مسرعة لاسر لكم كلة — لاجس العصب المتألم — لادلكم اين يكون الدم الفاسد — لاقول لكم انه ما من نهضة حقيقية تستردون بها عزكم القديم ومجدكم الغابر ما لم تأخذكم الشفقة على ذلك القلب المهمل المطروح في زوايا النسيان ما لم ترجعوه الى مقره وتضعوه على عرشه حيث يستطيع ان يمد اسلاكه الى الرأس لتندغم القوتان وتلامس الروحان ويجري دم الحياة في اعصاب الشرق الراقد

ان ذلك السر يا سادة الذي يهب البشر قوة المعجزة فيأتون بغرائب المصنوعات ويقدمون على عظائم الامور والاعمال ويدهشون بعجائب المخترعات — ان ذلك السر الذي يهزأ بالمتاعب ويضحك من الشقاء . ويجعل الانسان في مصاف الالهة المعبودة — هو ما جعلته موضوع كلمتي في هذا المساء هو اللحن الجميل الذي لا اجد له من عبارتي الضعيفة عوداً صحيحاً اضربه عليه وهو الدافع العظيم والقوة السرية

التي تصير الطفل رجلاً والاسد حملاً — هو حب المرأة . باطلاً تتعبون وعبثاً تتفكرون فدخول جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يلج الاصلاح ابواب سوريا ما دام القلب والرأس في تنازع وشقاق مستمرّين ما دامت القوة تستأثر بالضعف والفساد يجول في عروق الحياة

فاذا لم تتجرعوا كأساً من هذا الترياق الشافي واذا لم تنصتوا ملياً لاغنية الوادي السعيد التي ترددها حوريات الجمال واذا لم تسمعوا ذلك الهتاف السماوي الهابط من امجاد الخلود على مرسح التعس واذا لم تؤمنوا بقوة السحر المقدس تلك القوة العلوية التي تكوّن الاشياء بكلمة . التي تحول الزهرة الى ضلع يسند الرأس المتعب او ظل الهام المحمومة من حرارة الشقاء فرقادكم ابدي ومصيركم الى الظلام

ان الشرق العجوز الذي سودت وجهه الشعوب الاخيرة وبيضت شعره الفظائع الهائلة لا يستطيع حراكا ولا ينهض النهضة التامة ما لم تساعده على ذلك يد الصبية

ولكن وأسفاه - ان الصبية لم تزل نائمة حتى الآن فاي اصلاح ترجون؟ ان الشرقية التي ميزها الله بالفكر الوقاد والبصر الحاد قد ذري على عينيها رماداً وعلى بديع محياها سموماً وعلى شعلة قلبها قتاماً . لقد استلقت على فراش الراحة والكسل ووسادة البلادة ومحبة الذات . فايقظوها ايقظوها الى الحياة - اغرسوا في جنة فؤادها بذور الفضائل والاداب عوّدوها في سن حداثتها ان تخدم غيرها وتحب من حولها . علموها جبر القلوب قبل جبر الارقام فان تلك التي تكون علمها كل فخرها فهي سنبلة فارغة او غصن عقيم لا يحمل الا الاوراق الخضراء

اذا لم تتعلم المرأة ما هو الواجب والغاية التي خلقت لاجلها . اذا لم تدر ما هي الحياة وكيف تتأتى السعادة وبتجنب الشقاء فرجال الشرق يعجزون عن رفع هذا الحمل الثقيل الملقى على كاهل اوطانهم

ان المرأة التي لا تحب . التي لاتبتسم لزوجها الا لاجل الدرهم . التي تجهل كيف تزيل وسم المتاعب والشقاء عن جباه من حولها - هي قنديل جميل كله بهرجة وخفخفة ولكن لازيت فيه — هي قبر يظهر من الخارج جميلاً وملؤه عظام ونتانة. اية فائدة ترجى ممن تظلم ساحة بيتها وتضيء زوايا الشوارع والمنتديات؟ اي نفع ينتظر ممن تنظر الى زوجها باحتقار والى اولادها بعين الاهمال؟ اية سعادة تؤمل ممن تطعن قلب زوجها وتحول فرحه مع ابتسامات اطفالها الملائكية الى دموع منهمرة ودماء نازفة - ؟

حب المراة يدفع خطوات الزوج الى درجة العرش والابن الى منصة الاحكام حب المرأة يجعل الكوخ اسعد حالا وارغد عيشاً من قصور الملوك . ان القوة التي تخرج من قلبها تشفي الارواح المتألمة وتبريء الاجساد المضناة ان الدمعة التي تقطر من مآقيها تجعل الصحراء واحة والبادية بحراً . ان الابتسامة التي يفترُّ بها ثغرها تملأ الكون نوراً والحياة سروراً

هذه هي الكلمة التي بعثت من اجلها . هذ هي الانة التي حملتني اياها بقايا شهدائها هذا هو العصب المتألم الكامن بين الرأس والقلب . هذا هو حب المرأة ايها السادة والسيدات .

اذا كنت ايتها الرؤوس المتعجرفة لاتذعنين لاوامر القلب ولا تحترمين شعائره المقدسة فباطلة هي آمالك واحلامك . اذا كنت ايتها القلوب لا تدفعين كمية من الدم النقي تكفي لتخفيف آلام الرأس فحياتك عبء ثقيل عَلَى عاتق الانسانية

كفاكِ انتقاماً وجهلاً يا اختي كفاكِ ابتزازاً لاموالهم وهزءا بعواطفهم وضحكاً من خيلائهم هوذا هم ينظرون اليك نظرة العبد الى مولاه بل المجرم الى ربه يكفيهم انهم حرموا من السعادة التي لا تاتي الا من نسمات فمك العذاب